﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ [الحشر: 15 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

شأن الأمثال بعد بيان الأحوال تثبيت المعاني وتقوية النُّفوس

لما بيّنتِ الآيات السّابقة حال اليهود بانعدام فقههم وعقلهم، وأنَّ ما يختارونه من الفراق والشَّتات؛ بسبب ضعفهم الإيمانيِّ والأخلاقيِّ والفكريِّ؛ ناسب أن يذكر مثلًا على حالهم ممَّن سبقهم، فبيَّن في هذه الآيات أنَّهم يُشبهون مَن سبقهم مِن إخوانهم في انعدام الفقه وانعدام العقل، ثم شبَّه قصَّة الكلِّ بقصَّة الشَّيطان ومَن أطاعه من الإنس والجنِّ في إخلافه الوعدَ وإسلامه إيّاهم عندما حقَّ الأمرُ[1]، ولمّا كان القصدُ في الآيات السّابقة التَّهوينَ من شأن اليهود والمنافقين في نفوس المسلمين ساق اللّهُ سبحانه في هذه الآيات مثلين لهم زيادةً في تثبيت المؤمنين، ومبالغةً في التَّهوين مِنْ شأن أعدائهم، أحدُهما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، والآخرُ في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَبَالَ﴾: (وبل) أصْلٌ يَدُلُّ على شِدَّةٍ في شَيْءٍ وتَجَمُّعٍ[3]، ومنه الوَبَلَةُ بالتَّحريك: الثِّقلُ والوَخامَةُ، وقد وَبُلَ المرتَعُ بالضمِّ وبَلًا ووَبالًا، فهو وبيلٌ، أي: وخيمٌ[4]، والوَبْلُ والوابِلُ: المطر الثَّقيل القطار، قال

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 453، وما بعدها.
(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 306.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وبل).
(4) الجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة: (وبل).

تعالى: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [البقرة: 264]، ولمراعاة الثِّقل قيل للأمر الّذي يُخاف ضرره: وبالٌ، قال الله سبحانه: ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ [التغابن: 5]، والوبال سوء العاقبة الّتي ذاقوها في الدُّنيا.

2) ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾: (عقب) يَدُلُّ على تَأخيرِ شَيءٍ وإتيانِه بَعْدَ غَيْرِه[1]، وكُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ شَيْئًا فَهوَ عَقيبُهُ، كَقَوْلِكَ: خَلَفَ يَخْلُفُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ إذا مَضَى أحَدُهُما عَقَبَ الآخَرِ، وهُما عَقيبانِ، كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما عَقيبُ صاحِبِهِ[2]، والعاقِبةُ إطلاقُها يختصُّ بالثَّواب نحو: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص: 83]، وبالإضافة قَد تُستعمَل في العقوبة نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ [الروم: 10]، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ﴾[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حال اليهود مع المنافقين كحال إخوانِهم السّابقين، فهُم على درب الشَّيطان الرَّجيم

توضِّح الآية الأولى أنَّ مَثَلَ هؤلاء اليهود والمنافقين، وحالِهم العجيبة كمثل الّذين من قبلهم، وهم يهود بني قينقاع، الَّذين أُخرِجوا من المدينة بسبب غدرهم، وكان خروجُهم قبل خروج بني النّضير بزمنٍ ليس بالطَّويل، وكمثل مشركي قريشٍ الّذين حلَّت بهم الهزيمةُ في غزوة بدر، فإنَّ هؤلاء وهؤلاء قد ذاقوا في الدُّنيا سوءَ عاقبة كفرهم بدون إمهال، أمّا في الآخرة؛ فلهم عذابٌ شديدُ الألم والإهانة، وتبيّن الآيتان الأخريان أنَّ مَثَل المنافقين في تزيينهم الشَّرَّ والفساد ليهود بني النَّضير كمثل الشَّيطان؛ إذ قال للإنسان في الدُّنيا: اكفر بالله تعالى، فلمّا كفر ذلك الإنسان، ومات على الكفر، وبُعث يوم القيامة، ووجد مصيره السيّئ؛ ندم، وألقى التبعة على الشّيطان الّذي قال له: إنّي بريء منك ومن كفرك، إنّي أخاف

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقب).
(2) الخليل، العين: (عقب).
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (عقب).

اللّه ربّ العالمين، فكان عاقبة ذلك الشَّيطان وذلك الإنسان، أنَّهما في النّار خالدين فيها خلودًا أبديًّا، وكذلك حال المنافقين واليهود، وذلك الخلود في النّار هو جزاء الظّالمين الّذين تجاوزوا حدودَ اللّه تعالى، وحاربوا رسله وأولياءَهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل صدر الآية عمّا قبلها:

البيان بالمثال يجمع قوَّة الاستدلال والاعتبار بالأهوال

جاءت جملةُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لأنَّها بيان لما سبقها، أي: حال أهل الكتاب الموعود بنصر المنافقين كحال الّذين من قبلهم قريبًا[2]، فالفصل لكمال الاتِّصال، الّذي تنزل فيه الجملةُ المفصولةُ ممّا قبلها منزلةَ التّابعِ من المتبوع.

الغرض البلاغيُّ لحذف المسند إليه:

تنبيهُ المخاطَبين لاعتبار ممّا حصل للمتقدّمين

قولُه: ﴿كَمَثَلِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديرُه: (مَثَلُهم)، أي: مَثَلُ المذكورين من اليهود والمنافقين، كمَثَل أهل بدر أو بني قينقاع الّذين أُخرجوا قبل بني النّضير[3]، وقد أوثر حذف المبتدأ للعلم به، ووضوحه لدى المتلقّي، إذ ما يزال حديثُ السّورة موصولًا عن الّذين نافَقوا، ووعدوا إخوانَهم الّذين كفروا من أهل الكتاب بالنُّصرةِ والمؤازرة، ونكتة حذف المسند إليه توجيه الأنظار المعتبِرة إلى الخبر، فهو غاية النّظم ومقصوده، وفيه تنبيه المخاطَبين للاعتبار ممّا حصل للمتقدّمين.

نوع الكاف ودلالتها:

حالُ بني النّضير يشبه حالَ كفّار مكّة ويهود بني قينقاع

الكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ﴾ حرفُ تشبيه حالِ أهل الكتاب الموعودين بنصر المنافقين بحال الّذين من قبلهم، والمعنى: أنَّ

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 306، 307.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 107.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 231.

حالَهم المركَّبة من التّظاهر بالبأس مع إضمار الخوف من المسلمين، ومن التفرُّق بينهم وبين إخوانهم من أهل الكتاب، ومن خذلان المنافقين إيّاهم عند الحاجة، ومن أنَّهم لا يقاتلون المسلمين إلّا في قرى محصَّنة أو من وراء جدر، كحال الّذين كانوا من قبلهم في زمن قريب، وهم بنو النّضير، فإنَّهم أظهروا الاستعداد للحرب وأبَوا الجلاء، فلم يحاربوا إلّا في قريتهم؛ إذ حصنوها، وقبعوا فيها حتى أعياهم الحصار، فاضطرّوا إلى الجلاء، ولم ينفعهم المنافقون ولا إخوانُهم من أهل الكتاب[1].

براعة اجتماع حرف الكاف و(مَثَل):

تنزيلُ المشركين واليهود منزلةَ الأمثال المُعتَبر بها

اجتمع في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ﴾ أداتا تشبيهٍ، هما الكاف و(مَثَل)، وقد أوثر الجمعُ بينهما لتنزيل كلٍّ من السّابقين واللّاحقين منزلة الأمثال الّتي تقع للاعتبار، ثم شبَّه الآخر بالأوَّل، فدلَّ اللّفظ على أنَّ السّابقين مَثَلٌ يُعتبَر به، والآخرين مَثَلٌ يُعتبَر به، فشبَّه المثَلَ بالمثَل لبيانِ وجاهة وصفهم بأنَّهم قوم لا يفقهون ولا يعقلون، فلو فقهوا، وعقلوا؛ لاعتبروا، لكنَّهم يُشابهون الأولين في انعدام الفقه والعقل، بل هم أشدُّ من الأوَّلين، ويُرشح هذا المعنى لفظ ﴿قَرِيبًا﴾.

بلاغة التَّعبير بالاسم الموصول:

قربُ العهد معينٌ على حسن الاعتبار وكاشفٌ عن سوء الاغترار

آثر النّظم الكريم التَّعبير عن المضاف إليه بالاسم الموصول، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ لأنَّهم معهودون معلومون، فهُم الّذين يُشابهونهم في العَداء والمآل، وهم الّذين أصابهم ما أصابهم من قبلهم، فأفاد الاسم الموصول التّعريف بهم في كَونهم مِنْ قبلهم؛ لِتَكون القبليَّة القريبة عنوانًا كاشفًا عن عدم اعتبارهم بما جرى لأمثالهم، وتحقيرًا لشأنهم، واستهجانًا للتّصريح بوصفهم، وليتوصَّل بما في الموصول من بُعد لفظيٍّ إلى أنّهم بلغوا في الكفر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 107.

مبلغًا عظيمًا، وبعبارة ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى أنّهم كانوا مثلًا لمن جاء بعدهم، فقد كان بنو قينُقاع أشجعَ اليهود وأكثرَهم أموالًا، فلمّا كانت وقعةُ بدر أظهروا البَغْي والحسد، ونبذوا العَهْد كبني النضير، فأخرجهم رسول الله من المدينة إلى الشّام؛ لأنَّ قريتَهم كانت من أعمالها، ودعا عليهم، فلم يَدُر الحولُ عليهم حتّى هلكوا أجمعون، وقد عُرِفتْ قصتُهم، وذاع أمرُهم[1].

نوع ﴿مِن﴾ ودلالة ذكرها:

استعمل النّظم الكريم حرف ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، دون أن يقول: (الّذين قبلَهم)؛ وذلك للدَّلالة على عدم استغراق زمان القبل[2]، وتأكيد أنّ قتل المشركين في بدر كان يسبق إخراج بني النّضير بوقت قريب جدًّا.

القصد إلى إيضاح التّتابع الزّمني للأحداث

بلاغة التّعبير بالظّرف ﴿قَبْلِهِمْ﴾:

التّعبير بالظَّرف الدالِّ على الأسبقيَّة الزّمانيَّة في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، دالٌّ على أنَّ الواجب على بني النّضير والمنافقين أن يعتبروا بمن سبقوهم في الكفر بالله والتّعاون والمؤازرة على حرب رسوله، لا سيّما وأنَّ زمانهم ليس ببعيد، بل قريب جدًّا، وهذا يُؤكِّد ما وصفتهم به الآيةُ السّابقة من أنَّهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾؛ إذ لو كانوا عاقلين؛ لاتَّعظوا بسابقيهم، ولعزفوا عمّا كان سببًا في ذوقهم الوبال.

من لم يعتبر بمن قبله؛ فلن يعتبر بما يُمليه عليه العقل في لاحق أمره

فائدة ذكر ﴿قَرِيبًا﴾ وبيان تعلُّقها:

﴿قَرِيبًا﴾ ظرفٌ متعلِّق بالاستقرار المحذوف الَّذي تعلَّق به ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، ويمكن أن يتعلَّق بفعل ﴿ذَاقُواْ﴾، وقيل: متعلِّق بمضاف مقدَّر في الخبر، أي: كوجود مثل أهل بدر قريبًا[3]، وأيًّا كان متعلِّقه ففي

استيثاق العناد في عقول اليهود يُعمي عن البصائر في رابعة النّهار

(1) حقّي، روح البيان: 9/ 442.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 453.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 510، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 52.

التَّعبير به تصريحٌ وزيادة تأكيد لكون كفّار مكَّة المضروب بهم المثل كانوا قبل بني النّضير بوقتٍ قريب، قُدِّر بستّة أشهر، ما من شأنه أن يكون رادعًا عن السَّير على مِنوالهم في الكفر باللّه ومعاداة رسوله، والمعنى: مثل اليهود من بني النّضير فيما وقع لهم من الإجلاء والذلّ والمهانة كمثل أهل مكَّة فيما وقع لهم أيضًا قريبًا يومَ بدر من الهزيمة والأسر والقتل[1]، وهم مع ذلك لم يرتدعوا، ولم يعتبروا، ففائدة ذكر ﴿قَرِيبًا﴾، هو التَّنبيه على شدَّة الغفلة الَّتي هم مواقِعوها، وقُبْح العِناد الّذي مارسوه، فرُبَّ عنادٍ أقوى من حكمةٍ يقود للمهالك في قلب النَّصائح.

سِرُّ فصل جملة: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾:

من يسأل عن واقع الأمثال يأتيه خبرُ الوبال

جاءت جملة: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لشبه كمال الاتّصال، الَّذي تُجيب فيه الجملةُ المفصولةُ عن سؤال أثارته الجملةُ السّابقةُ عن خَبَرِ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[2]، فكأنَّه قيل: ما مثلهم وما حالهم وما شأنهم؟ فقيل: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾، ومن ثمَّ فُصِلت عنها كما يُفصَل الجوابُ عن السُّؤال.

نكتة التَّعبير عن نزول العذاب بالذَّوق:

كفارُ مكَّةَ تذوَّقوا العذابَ كما يتذوَّقُ الآكلُ الطعامَ

التَّعبير عمّا حدث لمشركي مكَّة يوم بدر بالفعل: ﴿ذَاقُواْ﴾ الموضوع لإدراك الطَّعم، والّذي يُستعمَل فيما يقلُّ تناولُه دون ما يكثر[3]، دالٌّ على أنَّ عذابَهم كان حسيًّا، وأنَّهم شعروا به وذاقوه كما يتذوّق الآكلُ الطّعام، وفيه تهويل وتفخيم لما ينتظر مَن يسيرون على دربهم، وينهجون نهجهم؛ لأنَّه إذا كان ما حدث في بدر من هزيمةٍ وقتلٍ وأسرٍ وخزيٍ ذوقًا، فكيف إذا كان الوبالُ الّذي يمكن نزولُه أكبرَ وأعظمَ؟.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 453، وحقّي، روح البيان: 9/ 442، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 52.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 453.
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (ذوق).

بلاغة الاستعارة التَّصريحيَّة:

ذوقُ العذابِ توطئةٌ بيانيَّة لتحقيق العذابِ نفسِه

في التَّعبير بالفعل: ﴿ذَاقُواْ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ، شُبِّه فيها حصولُ القتل لمشركي مكّة يوم بدر بالذّوق، بجامع الإحساس والشّعور في كلٍّ، ثم حُذف المشبّه واستعير الذّوق لحصول القتل، واشتُقَّ منه: ﴿ذَاقُواْ﴾ بمعنى: قُتلوا، على سبيل الاستعارة التّصريحيّة التبعيّة الّتي تصوّر نزول العذاب ووقوعه بالشّيء المحسوس ترهيبًا منه، وتحذيرًا من مزاولة أسبابه.

دلالة التّعبير بصيغة الماضي:

ذوق الوبال تمثيلٌ غابر لا تهديد عابر

جاء التّعبير بصيغة الماضي لفعل الذّوق ﴿ذَاقُواْ﴾؛ للدَّلالة على حصول الوبال - سواء أكان هزيمة أم قتلًا أم أسرًا - ووقوعه وقوعًا قطعيًّا، كما أنَّه دالٌّ على عمق أثره فيهم، وشدَّة ألمهم وعظم فجيعتهم بسببه، فالذَّوق ليس تهديدًا عابرًا، بل هو تمثيلٌ غابر.

دلالة إسناد فعل الذَّوق لواو الجماعة:

ذوق الوبال تحقُّق في المجموع بعد ذوق الجميع

إسنادُه إلى ضمير الجماعة العائد إلى كفّار مكّة دالٌّ على أنَّهم تذوَّقوا ألمَ الهزيمة والقتل والأسرِ جميعًا بلا استثناء، فمَن لم يُقتل في المعركة قتل له أبٌ، أو أخٌ، أو ولدٌ، ومَن لم يؤسر أسر له واحد من هؤلاء، فذاقوا بذلك - رجالًا ونساءً - وبال كفرهم بالله تعالى، وعقابَ حربِهم لرسوله ﷺ، فذوق الوبال دخل كلَّ بيتٍ، ونال كلَّ فردٍ، وتحقَّق في المجموع بعد ذوق الجميع.

فائدة استعمال مفردة ﴿وَبَالَ﴾:

التَّنبيه على النَّكالِ الشَّديد والهوان البليغ والمآل الوخيم

آثر النَّظمُ التّعبيرَ بمفردة ﴿وَبَالَ﴾ دون (عاقبة)؛ للدَّلالة على وخامة العقاب وصعوبته وقوَّة أثره في المشركين الّذين ذاقوه، وللإلماح إلى أنَّ أثره سيمتد طويلًا، ولن يكون محصورًا في المدّة الّتي تلي المعركة، وتعقُبُها، والمعنى: فنالوا سوءَ جزائهم، وذاقوا وبال

عصيانهم، ولقوا النَّكال الشَّديد والهوان البليغ[1]، فالوبال مرتبط بمعنى الوخامة والشدَّة المتتابعة، الَّتي تأتي دون قدرةٍ على ردِّها.

بلاغة الاستعارة المكنيَّة في مفردة ﴿وَبَالَ﴾:

تشبيهُ الكافرين بأنعامٍ دخلت أسبابَ هلاكِها، وهي تظنُّها أسبابَ ظفرِها

في مفردة ﴿وَبَالَ﴾ استعارة مكنيَّة، والوبال مأخوذٌ من وخامةِ المرعى المُستَلَذِّ به للماشية، يُقال: كلأٌ وبيل؛ إذا كان مرعًى خَضِرًا حلوًا تهشُّ إليه الإبلُ، فيحبطها، ويمرضها، أو يقتلها، فشُبِّهوا في إقدامِهم على حرب المسلمين مع الجهل بعاقبة تلك الحرب بإبلٍ ترامَت على مرعًى وبيلٍ، فهلكت، وأثبت الذَّوقَ على طريقة المكنيَّة وتخييلها، فكان ذكر ﴿ذَاقُواْ﴾ مع ﴿وَبَالَ﴾ إشارة إلى هذه الاستعارة[2]، الّتي تنفِّر من تعاطي أسباب هلاك السّابقين، وتحذِّر من الوقوع فيها.

دلالة استعمال الأمر:

الائتمار بأمرِ المكر والكيد سببُ الهزيمة من حيث يُظنُّ أنَّه سببُ النّصر

المرادُ بلفظ ﴿أَمْرِهِمْ﴾: كفرُهم باللّه تعالى وعداوتُهم لرسوله ﷺ[3]، وقد أوثر استعمال الأمر دون الكفر أو الكيد أو العداوة ونحو ذلك ممّا اتَّصفوا به؛ للدَّلالة على أنَّهم اجتمعوا على أمرٍ واحدٍ في العداءِ لدين اللّه تعالى جامعٍ للكفر والشِّرك والعدوان والصَّدِّ عن سبيل اللّه تعالى، وكانوا يأتمرون له فيما بينهم، ويتَّفقون مع بعضهم على إنفاذه[4]، والمعنى: ما دبَّروه، وحسبوا له حسابه، وذلك أنَّهم أوقعوا أنفسهم في الجلاء، وترك الدّيار وما فيها، أيْ: ذاقوا سوءَ أعمالِهم في الدّنيا[5]، فكان ذكرُ الأمرِ الّذي ظنّوه سببَ انتصارهم، هو سبب هزيمتهم وانتكاستهم.

(1) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 10/ 1366.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 108.
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 3/ 461.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 454.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 108.

نوع الواو ودلالتها:

الواو في جملة: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ استئنافيّة، جاءت للتّنبيه إلى أنَّ عقاب مشركي مكّة على الكفر باللّه وإيذاء الرّسول ومحاربته لن يقتصر على ما ذاقوه من الهزيمة والقتل والأسر والخزي في معركة بدر، وكذلك يهود بني قينقاع لن يقتصر عقابهم على ما ذاقوه من عذاب الدّنيا بالجلاء وما فيه من مشقّة على الأنفس والأجساد؛ لأنَّ ثمَّة عذابًا أليمًا ينتظرُ الفريقين في الآخرة، والجملة تدفع الظنَّ بأنَّ ذوقَ العذابِ في الدُّنيا يُغني عن عذابِ الآخرةِ.

عــذاب الآخــرة لصاحب أمرهم لا لمن ذاقوا وبال أمرهم

نوع اللّام ودلالتها:

اللّام في قولِه تعالى: (لَهُمْ) حرفُ جرٍّ يفيد الاختصاص أو الاستحقاق، أي: إنَّ هؤلاء اليهود والكافرين الّذين ذاقوا وبال كفرهم باللّه، ونزل بهم عقابُ عداوتهم لرسوله في الدّنيا سيُخَصّون في الآخرة بعذابٍ مؤلمٍ يُصيب النّفس العنيدة على الكفر، والأبدان المنتنة بالمعاصي؛ ليبلغ وبالُ أمرهم قمّته، ويصل إلى ذروته في الدّنيا والآخرة.

حُـقَّ لمـن كـفرَ، وعـاند أن يـذوق عـذابًا أليـمًا في الآخرة

نكتة استعمال ﴿عَذَابٌ﴾ دون (عقاب):

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة ﴿عَذَابٌ﴾ دون (عقاب)؛ ليُناسب السّياق، فلمّا ذكر أنَّهم ذاقوا وبال أمرهم، فكان ما نالهم ذوقًا لا عذابًا كاملًا؛ ناسب ذكر العذاب ليقع التّقابل بين ما هو ذوق يسير وعذاب أليم كامل، فالعذاب الّذي يتوعّدهم اللّه به في الآخرة، فما حدث من هزيمة وخزي وقتل وأسر لكفار مكّة، وكذلك ما حدث من إخراج وإذلال لبني قينقاع كان بمنزلة ذوق يسير عاجل، أمّا عذابُ الآخرة الّذي ينتظرهم، ويهدِّدُهم اللّهُ تعالى به، ويحذِّر منه مَن يحذو حذوَهم؛ فسيكون عذابًا لا مُنتهى لأَلَمِه، ولا تصوُّر لمعاناته.

ذِكْـرُ ذوقِ الألم اليسير يُناسبه ذِكْــرُ الـعـذاب الأليم

غرض تنكير لفظ ﴿عَذَابٌ﴾:

نُكِّر لفظ ﴿عَذَابٌ﴾؛ لما يفيده التَّنكير من التَّفخيم والتَّهويل، والإشارة إلى أنَّه عذابٌ لا يُقادر قدرُه، ولا تحيط به العبارة، ولا يعلم حقيقته إلّا اللّهُ تعالى[1].

دلالة وصف العذاب بـ ﴿أَلِيمٌ﴾ مادّةً وصيغة:

يجتمع في العذابِ الأخرويِّ عظيم الألم وشديد النَّدم

أوثر وصف العذاب الّذي ينتظر اليهود والمنافقين في الآخرة بـ ﴿أَلِيمٌ﴾ دون (عظيم) أو (كبير) أو (شديد)؛ للدَّلالة على أنّه يجمع بين العِظَم والألم، فلن يكون العذابُ مؤلِمًا إلّا إذا كان عظيمًا، وإذا كان عظيمًا أليمًا؛ كان كبيرًا، وجيء به على وزن فعيل الّذي يفيد المبالغة؛ للإشارة إلى بلوغه في الشدَّة والألم مبلغًا لا نظير له، والمعنى: عذابٌ شديدُ الإيلام[2].

علّة فصل صدر الآية:

تعليل أسباب العذاب في الآخرة بامتثال أوامر الشّيطان

جاءت جملة: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ مفصولةً عن جملة: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لأنَّها تبيِّنُ السَّببَ في اختصاص اليهود والمنافقين بالعذاب الأليم في الآخرة، ومن ثمَّ فُصِلت عنها، كما يُفصَل السَّبب عن المسبَّب، فيما يُعرف بشبه كمال الاتِّصال، فإن سألتَ: لماذا لهم عذابٌ أليم في الآخرة؛ فالجواب لأنَّ مثلهم كمثل الشّيطان، فهذا المثلُ متّصلٌ بقوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ﴾، والمعنى: مثلُهم في تسببهم لأنفسهم عذابَ الآخرة كمثل الشّيطان؛ إذ يوسوس للإنسان بالكفر، ثم يتركه، ويتبرَّأ منه، فلا ينتفع أحدُهما بصاحبه، ويقعان معًا في النّار[3]، ويمكن أن تكون الجملة في محلِّ رفع خبرًا ثانيًا - للمبتدأ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 231.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 454.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 108، 109.

المُقَدَّر المحذوف - متضمِّنًا حالًا أخرى لليهود، وهي اغترارُهم بقول المنافقين ووعودهم أوَّلًا وخيبتهم وخذلانهم آخرًا[1].

غرض حذف المسند إليه:

حـذفُ المسند إليه توجيهٌ للأنظار المعتبرة بواقع المثل

حُذِفَ المسند إليه للمسند: ﴿كَمَثَلِ﴾، والتَّقديرُ: مَثَلُهم كمثل، أي: مثلُ الكلِّ الواعدين بالنَّصر والمغترّين بوعدهم، مع علمهم بأنَّ الله كتب في الذِّكر: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: 21]، في إخلافهم الوعد وإسلامهم إيّاهم عندما حقَّ الأمرُ[2]، ونكتة الحذفِ الثِّقةُ بأنَّ السّامعَ يردُّ كلَّ واحدٍ مِن المَثَلَين إلى ما يُماثله، كأنَّه قيل: مثلُ اليهود في حلول العذاب بهم كمثلِ الَّذين من قبلهم، ومثلُ المنافقين في إغرائهم إيّاهم على القتال - حسبما نُقل عنهم - كمثل الشّيطان حين يُغري الإنسانَ بالكفر، ويزيّنه له[3]، وكذلك في الحذف توجيه الأنظار المعتبِرة إلى الخبر، فهو غاية النّظم ومقصوده، وفيه تنبيه المخاطَبين للاعتبار ممّا حصل للمتقدّمين.

نوع الكاف ودلالتها:

المنافقون وكلاء الشَّيطانِ لإغواء الإنسان

الكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد تشبيه حالِ المنافقين في إغرائهم اليهودَ على القتال ووعدهم إيّاهم بالنّصر، ثم متاركتهم لهم وإخلافهم بحال الشّيطان؛ إذا استغوى الإنسان بكيده، ثم تبرَّأ منه في العاقبة[4]، ووجه الشَّبه هو التَّرك والخذلان.

بلاغة اجتماع حرف الكاف و(مَثَل):

المنافقون والشَّيطان يتشابهان في إظهار الودِّ والمحبة وإبطان المكر والخديعة

اجتمع في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أداتا تشبيه، وهما الكاف و(مَثَل)، وقد أوثر الجمعُ بينهما؛ للدَّلالة على التَّطابق الشَّديد والمماثلة التامَّة بين حال المنافقين، الّذين غَرّوا بني النّضير

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 232.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 232.
(4) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 507.

بالخروج معهم، ثم خذلوهم، وما وفّوا بعهدهم، وحال الشّيطان إذ قال للإنسان: اكفر، ثم تبرَّأ منه في الآخرة[1]، فالتّطابق بين الحالين يوجب أن تكون عاقبة اليهود والمنافقين كعاقبة الشّيطان والإنسان الّذي استجاب لدعوته إلى الكفر، وهي الخلود الأبديُّ في نار جهنَّم.

نكتة إضافة (مَثَلِ) إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

مثلُ الشَّيطانِ مثلُ المنافقين في الصّفات والأخلاق

إضافة (مَثَلِ) إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، في المشبَّه به فيها تشنيعٌ بفعل المنافقين، وتقبيح لصنيعهم مع اليهود، وتنفير للمخاطَبين من أن يكونوا مثل الشّيطان، أو يفعلوا فعله؛ لأنَّه بعيدٌ من كلّ خير؛ لبعدِه من اللّه تعالى، واحتراقِه بعذابه[2]، والإضافة تدلُّ على تنزيل المنافقين منزلة المَثَل الّذي يدلُّ على المعنى الكليّ في كونه معرَّفًا بإضافته للشّيطان، فللشّيطان مثل معروف، المنافقون أشبه النّاس به، لوقوع التّشابه في الصّفات والأخلاق.

نوع (أل) ودلالتها في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

الشّيطان جنسٌ معلوم الصّفات معهود السّلوك

(أل) في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ لتعريف الجنس، والمعنى: كمثل الشّيطان في إغوائه بني الإنسان، والمراد بالإغواء: عموم دعوته إلى الكفر[3]، ويمكن أن تكون (أل) للعهد الذِّهنيِّ؛ إذ لا يتبادر منه إلّا المتعارف شرعًا[4]، وقيل: التَّمثيل بشيطانٍ مخصوصٍ مع عابد مخصوص استودِعَ امرأةً، فوقع عليها، فحملت، فخشي الفضيحة، فقتلها، ودفنها، سوَّل له الشيطان ذلك، ثم شهره، فاستُخرجت، فوُجدت مقتولةً، وكان قال: إنَّها ماتت، ودفنتها، فعلموا بذلك، فتعرَّض له الشَّيطانُ وقال: اكفر، واسجد لي، وأنا أنجيك ففعل، وتركه عند

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 511.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 511.
(4) الطّيبيّ، حاشية الطّيبيّ على الكشّاف: 15/ 338.

ذلك، وقال: أنا بريء منك، وقول الشّيطان: إنّي أخاف اللّه رياء؛ إذ لا يمنعه الخوف عن سوء يوقع ابن آدم فيه[1].

أثر التّعبير بـ ﴿إِذْ﴾ في استحضار الصّورة:

استحضار لحظة الوسوسة وأثرها في تشويه سلوك الإنسان

﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزّمان، والتّعبير به يثير المتلقّي إلى استحضار وقت وسوسة الشّيطان للإنسان الضّعيف، ويدعوه إلى معصية اللّه تعالى، ويتدرَّج به حتى يوقعه في الكفر به، ويعدُه بالحماية والإنجاء من العذاب، ثم يتبرّأ منه عند البعث واللّقاء، فتعمل الصّورة المستحضرة عملها في الحذر من أساليب الشّيطان والنّفور من طاعته، وعدم الاطمئنان لمَن هم على شاكلته من اليهود والمنافقين، وغيرهم من العصاة المجرمين.

نكتة الإخبار بالقول لا الإخبار بالأمر:

الشّيطان يتدرَّج بالوسوسة حتى يبلغ الأمر بالكفر الصَّريح

آثر النّظم الكريم ذِكر فعل ﴿قَالَ﴾، دون الإخبار عن الأمر مباشرةً، فلم يَقُل: (كمثل الشّيطان؛ إذ أمَرَ الإنسان بالكفر)، وقول الشّيطان: اكفر، هو أمرٌ؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ أسلوب الشّيطان هو أسلوب المراوغة، فلا يأمر الإنسانَ بالكفر أمرًا صريحًا مباشرًا؛ إذ لو فعل ذلك؛ لنفر منه الإنسان، ولكنّه يوسوس إليه، ويتدرَّج به نحو الكفر شيئًا فشيئًا، حتى يسيطر عليه، وعندئذٍ يقول له قول الآمر المتمكِّن: اكفر، والمعنى: أغراه على الكفر إغراء الآمر الأمور على المأمور به[2].

نوع اللّام ودلالتها:

وسـاوس الشّيطان متنوِّعة بقصد التّأثير والإقناع

اللّام في قوله: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ هي لام التَّبليغ[3]، الدالَّة على أنَّ الشَّيطان حريصٌ على أن يوسوس للإنسان بالقول أو التّزيين والتّحسين، أو بغير ذلك من الوسائل الّتي تُعَدُّ أقوالًا وأوامر يصوغها

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 147.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 232.
(3) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 99.

في أشكال مختلفة، وصور متنوِّعة، بقصد التّأثير والإقناع؛ ليوقع به نهايةَ الأمر في حبائله، ويجعله أسيرًا لتوجيهاته، مطيعًا لأوامره.

نوع (أل) ودلالتها في لفظ ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾:

كـلُّ شيطانٍ يوسوس بالكفر لقرينه من بني الإنسان

(أل) في ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ لتعريف الجنس؛ إذ كلُّ شيطان يفعل ذلك مع قرينه من بني الإنسان، ويشمل كلَّ مَن فيه نَوَسٌ واضطرابٌ من باب أولى[1]، فالمراد بالإنسان هنا: جنس مَن أطاع الشّيطان مِن نوع الإنسان، ويمكن أن تكون (أل) لتعريف العهد، والمراد: عابدٌ كان في بني إسرائيل، حَمَلَه الشَّيطانُ على الكفر، فأطاعه، فلمّا كفر؛ قال: إنّي بريء منك، وقيل: المراد: أبو جهل[2]، لكن كونها للجنس أولى.

نكتة الأمر بالكفر:

كفرُ الإنسان هو الغايةُ العظمى الّتي يسعى إليها الشّيطانُ

قولُه: ﴿ٱكۡفُرۡ﴾ حكايةٌ لقول الشَّيطان للإنسان، وقد أوثر الأمر به دون الأمر بالشِّرك؛ لأنَّه أعمُّ وأشملُ[3]، ولكونه يمثلُ الغايةَ العظمى الّتي يسعى إليها الشّيطانُ، والهدفَ الأعلى الّذي يحرص على تحقيقه، فهو لا يرضى من الإنسان إلّا أن يكون كافرًا باللّه تعالى، جاحدًا لنعمه، منكرًا لوجوده؛ ليكون رفيقًا له في النّار أبد الآبدين.

غرض الأمر ومقصوده:

إغواء النُّفوس باتباع الشَّهوات

قولُه: ﴿ٱكۡفُرۡ﴾ فعل أمر غرضه الإغراء والتَّزيين والإغواء، وهو لا يكون باللّفظ الصّريح، وإنّما يكون بما يزيّنه له، ويوسوس به، من اتِّباع الشَّهوات القائمِ مقام الأمر[4].

نوع الفاء ودلالتها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾ عاطفةٌ ما بعدها على فعلٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 244.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 230.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.

محذوفٍ، تقديره: فكفر، فلمّا كفر[1]، وجيء بالفاء لا لبيان سرعة إغواء الشَّيطان للإنسان، بل لبيان النَّتيجة الّتي آل إليها الإنسان بسرعةٍ غير متوقَّعة، فإنَّ الاستجابة للشَّيطان؛ ليكفر بالله تعالى غير متصوّرة، فأن يحصل الكفر فهو سريعٌ مَهْما طال، فهي على فرضِ طولها، فهي تدلُّ بما فيها من معنى التسبُّب والتَّعقيب على أنَّ أقوالَ الشّيطان ووساوسَه الّتي يبثُّها في نفس الإنسان الضّعيف، كأنَّها أوامر يمليها عليه[2]، لا بدَّ أن يتسبَّب عنها الكفر على وجهٍ بالغٍ في التَّعقيب والإسراع، ووجه حذف الفعل بعد الفاء كونه أمرًا بدهيًّا يحصل لمن يستجيبُ لألاعيبِ الشّيطانِ، وتنطلي عليه حيَلُه.

مَهْما طالت استجابة الإنسانِ للشَّيطان؛ فهي سريعةٌ غير متوقَّعة

نوع (لَمّا) ووظيفتها:

(لَمّا) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ﴾ ظرفيَّة حينيَّة أو متضمِّنة معنى الشّرط، دالّة على أنَّ براءة إبليس من أتباعه ومطيعيه تتزامن مع كفرهم بالله تعالى، ولا تتأخَّر عنه، وفي ذلك من التّحسير والتّأنيب والتّحذير ما يدفع السّامع إلى البصر بألاعيبه، وعدم الاستجابة لوساوسه وأمانيه، وسرعة البراءة الحاصلة من الشّيطان بمجرَّد كفر الإنسان، دالّةٌ على سرعة الجزاء يوم القيامة، فإنَّ الحياة سريعة، والحساب قريبٌ.

ما أن يكفر الإنسان تقع براءة إبليس منه

لطيفة التّعبير بالماضي ﴿كَفَرَ﴾:

جاء التّعبير عن استجابة الإنسان لأمر الشّيطان بفعل الكفر ماضيًا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ الشّيطان لا يعلن براءته من الإنسان إلّا إذا اطمأنَّ إلى كفره بالله تعالى، وتأكَّد من دوامه عليه، وتيقَّن من عدم تراجعه، وعدم اتّساع الوقت

إعلان براءة الشّيطان من الإنسان بعد استحالة التّوبة

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 52.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.

للتّوبة، فهو يعلن براءته بعد فوات الوقت واستحالة التّوبة، وهذا لا يكون إلّا بعد الموت وعند الجزاء.

بلاغة الإيجاز بالحذف:

المجاز بالحذفِ دعـوةٌ للتّدبُّر والـتّـأمُّـل في النّـظـم لفهم المقصود

في الآية إيجازٌ بالحذف؛ إذ حُذِف فيها معطوفاتٌ مقدّرةٌ بعد (لمّا)، وهي داخلة في الشّرط؛ إذ التّقدير: فلمّا كفر، واستمرَّ على الكفر، وجاء يوم الحشر، واعتذر بأنَّ الشّيطان أضلَّه؛ قال الشّيطان: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾، وهذه المُقَدَّرات مأخوذة من آيات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم: 22]، وقوله: ﴿۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧﴾ [ق: 27]، وظاهرٌ أنَّ هذه المحاجَّة لا تقع إلّا في يوم الجزاء، وبعد موت الكافر على الكفر دون مَن أسلموا[1].

دلالة التّعبير بفعل القول جوابًا للشّرط:

قـولُ الشّيطان الـثّـاني كـاشفٌ عـمّـا يُـضـمـره لـلإنـسـان مـن مـراوغـةٍ ومخادعة

التّعبير بفعل القول الموضوع لإبراز ما يُتصوَّر في النَّفس[2]؛ جوابًا للشّرط في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ﴾، دالٌّ على أنَّ الشّيطان كان يخدع الإنسان بقوله الأوّل، ويظهر له في ثوب النّاصح الحريص، لكنّ غرضَه الحقيقيَّ من أقواله ووساوسه أن يصل بالإنسان إلى مرحلة الكفر باللّه تعالى، ويشهد بذلك تناقض قوليه، ففي المرَّة الأولى زين للإنسان الكفر ووعده بالحماية والإنجاء، وفي القول الثّاني: أعلن البراءة والتنصُّل ممّا قال، فاتَّحد الفعلان في اللّفظ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 109، 110.
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (قول).

لكنَّهما اختلفا في المقصد والغاية، وكشف الثّاني منهما عمّا كان يبيِّتُه للإنسان، ويضمرُه، وهو ما يكشف مراوغة الشَّيطان للإنسان، وأنَّه صاحب وجهين كحال المنافق الّذي يعد بنصرة إخوانه من اليهود، ثم يختار طريقًا أخرى ليسلم من تبعاتهم.

دلالة التَّعبير بصيغة الماضي:

جاء فعل القول بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ﴾، وهو من أحداث المستقبل؛ للإشارة إلى مبادرة إبليس بالبراءة، وإسراعِه في التنصُّل من الإغواء والخديعة الّتي مارسها ضدَّ الإنسان بقصد إيقاعِه في الكفر، في وقتٍ ينتظر منه ابنُ آدم أنْ يُدافع عنه، وأنْ ينجيه من العذاب الّذي لاحت بوادرُه، كما هو شأن اليهود مع المنافقين الّذين انتظروا نصرتهم ومؤازرتهم، أي: إنَّ مَنْ يطيع الشَّيطانَ، ويكفر باللّه يُعَذَّبُ عذابًا نفسيًّا، قبل أن يُعَذَّبَ عذابًا حسيًّا في نار جهنَّم مع الشّيطان الّذي أطاعه، واتَّبع قولَه.

العذاب النَّفسيُّ يـوم الـقـيـامـةِ سابقٌ للعذاب الحسيِّ وفي كلٍّ هولٌ عظيم

دلالة التَّوكيد في قوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾:

جملة: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾ وما بعدها حكايةٌ لقول الشَّيطان الّذي يُعلن فيه البراءة من مطيعيه، ومَنْ خُدعوا بقوله وتزيينه، وجاء قولُه هذا مؤكَّدًا بإنَّ والجملة الاسميَّة؛ لتأكيد براءته ممَّن كفروا باللّه، وتقوية عدم وجود صلة بينه وبينهم، ونفي ادِّعائهم أنَّه السّبب في ضلالهم، وعدولهم عن طريق الهدى إلى طريق الغواية.

الشَّيطان يبالغ في نـفـي كـونـه سـبـبَ ضـلال الإنسان

بلاغة التَّعبير بمفردة ﴿بَرِيٓءٌ﴾:

جاء بيان قول الشَّيطانِ بمفردة ﴿بَرِيٓءٌ﴾ خبرًا مسندًا إلى ضميره ﴿إِنِّي﴾؛ لدلالته على البعد التّام، والبون الشّاسع[1] بينه وبين مَن ينسب الغواية والضَّلال إليه، والمعنى: ليس بيني وبينك علاقة

ما بعد تخلُّص الـشَّـيـطـان من الإنـسـان إلّا البراءة منه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برأ).

في شيء أصلًا[1]، فالبراءة تدلُّ على الانفصال التّام بين جهتين، كما أنَّ المفردة توحي بتهمة المبرَّأ منه، وشأنُ البريء أن يُلقي باللّوم على الآخر، ففي المفردة فوق التَّخلُّص من الإنسانِ الكافر، اتِّهامه بأنَّه صاحب الإجرام والمقبل على الكفران، وليس للشَّيطانِ شأنٌ به.

نوع (مِنْ) ودلالتها:

بيان نفي التَّبعيَّة للشَّيطان

(مِن) في قوله: ﴿مِّنكَ﴾ بيانيَّة يُؤكِّد بها الشَّيطانُ براءته من الشَّخص الَّذي أطاعه، وعدم مسؤوليَّته عن أيِّ فعل من أفعاله، أو أيِّ عمل من أعماله، ويدخل فيه كفره باللّه تعالى دخولًا أوَّليًّا؛ ظنًّا منه أنَّ هذه البراءة تنفي عنه شيئًا ممّا استوجبه المأمورُ بقبوله لأمره[2].

علَّة فصل جملة: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾:

ادِّعاءُ الشَّيطان الخوف من الله تعالى وقاحةٌ فوق تخاذل

جاءت جملة: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ مفصولة عمّا قبلها؛ لأنَّها تبيِّن أنَّ السَّبب الّذي دفع الشَّيطان إلى إعلان براءتِه وتنصُّلِه ممَّن أطاعوه، هو ادِّعاؤه الخوف من اللّه، ومن ثَمَّ فُصِلت عمّا قبلها، كما يُفصَل السَّبب عن المسبَّب، أي: لشبه كمال الاتِّصال[3]، فإنَّ شأن بيان الأسباب تعليل الأسئلة، فكأنَّ سائلًا قد سأل: لماذا تبرَّأ الشَّيطان من الإنسان؟ فكان الجواب: ادِّعاء الخوف من اللّه تعالى.

نكتة التَّعبير بالخوف دون الخشية:

لمقام الكلام أثرٌ في انتقاء الألفاظ المتقاربة

جاء بيان قول الشَّيطان في ذكر سبب البراءة من الكافر، في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، بفعل الخوف الَّذي يتعلَّق بالمكروه، دون فعل الخشية الَّذي يتعلَّق بمُنْزِل المكروه[4]، وهو دالٌّ على أنَّ الشَّيطانَ يدَّعي أنَّه يخاف من أن يقول قولًا يؤدّي إلى غضب اللّه تعالى وسخطه، والمعنى: أخاف الملك الّذي لا أمر لأحدٍ معه، فلا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 455.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 456.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 241.

تُطاق صولتُه[1]، والمقام مقامُ جزاءٍ وعقاب، لا مقام تكليف وعمل، فإيثار لفظ الخوف الدّال على عموم المعنى، أولى من لفظ الخشية.

دلالة التّعبير باسم الجلالة:

أعظم الخذلان تجهيل الإنسان بأسباب النّجاة مع المعرفة بها

جاء التّعبير باسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾؛ للدَّلالةِ على ادِّعاء الشَّيطان معرفتَه قَدْرَ الله حقَّ المعرفة، وإدراكه مدى قدرتِه وعظمتِه حقَّ الإدراك، أي: إنَّ خوفه منه حاصلٌ عن علم ومعرفة، وفيه اتِّهام للإنسان بأنَّ جهله بالله تعالى هو السَّبب الَّذي أوقعه في الكفر به، ما يعني: أنَّه صادق فيما ادَّعاه من براءة، ومحقٌّ في اتِّهامه الإنسان بالكذب والافتراء، فالشَّيطان يلمز بجهل الإنسانِ بمعرفة الله تعالى، وينسبها لنفسِه، وهذا في غاية كشف خذلان الشّيطان للإنسان؛ لأنَّه أغواه بالابتعاد عن طريق الخوف من الله تعالى، ثم ادَّعى الخوف لنفسه.

فائدة الجمع بين اسم الجلالة ووصف الرُّبوبيَّة:

المبالغة في بيان استحقاق الله للعبادة تحسيرٌ لمَن أغواهم الشَّيطان في الرَّذيلة

اقترن اسم الجلالة ووصف الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الشَّيطان كما يعرف قُدرةَ الله تعالى وعظمتَه يعترفُ بنعمِهِ عليه، فإنَّه يُقرُّ بأفضاله الّتي تغمره، ومَن كان كذلك؛ فلا يليق به أن يكْفر بالله، ولا أن يدعوَ أحدًا للكفر به، لكنَّ الشَّيطانَ كفر، ودعا النّاس إلى الكفر، وما قاله إنَّما يصبُّ في بحرِ النِّكاية في أعدائه من الإنس، الَّذي أقسم أن يُغويهم، فهو ينتقم من عدوِّه الإنسيِّ في الدُّنيا بالإغواء، وكذلك في الآخرة في تمزيق أكبادهم حسرةً على مآلهم؛ بسبب غفلتهم وغباوتهم، وهذا حال المنافق مع الآخرين، فهو يتَّخذهم أعداءً في الباطن، ويُجاريهم في الظّاهر، حتّى إذا وقعت واقعة العذاب؛ تنصَّل، وتبرَّأ منهم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 456.

دلالة إضافة ﴿رَبَّ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

ادّعـاء المعرفة بالحقِّ لا يُنجي الكافرَ بعد حكم الحقِّ

إضافة اسم ﴿رَبَّ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ يدلُّ على أنَّ الشَّيطان يقرُّ بربوبيَّة الله للعالمين من غير استثناءٍ؛ تأكيدًا لبراءته من كفر الكافرين، وزعمًا بأنَّهم فعلوا ذلك برغبتهم وإرادتهم، كما يحكيه قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ [إبراهيم: 22]، ولم يقل: (إنّي أخاف الله ربّي)؛ لدخوله في لفظ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دخولًا أوليًّا برهانيًّا يُؤكِّد إيمانه وعدم كفره، ويقوّي براءَته واتِّهامَه الكفّارَ بالجهلِ والكذبِ، وهذا الاعتراف بالمعرفة الكاملة لتوحيد الألوهيَّة والرُّبوبيَّة، لا ينقل المعترف من كفرِه الَّذي استقرَّ فيه، إلى الإيمانِ المُنجي الَّذي يطمع فيه.

بلاغة تشبيه المنافقين بالشَّيطان:

أشبه المخلوقات بالمنافقين مَن يوسوس في صدور العالمين

جاء تمثيل القرآنِ فعل المنافقين مع اليهود خصوصًا بفعل الشَّيطان مع الإنسان عمومًا في الخديعة والتخلّي لبيان حال المشبه، وإبراز الفرق الشّاسع بين أخوَّة المنافقين لليهود، وأخوَّة المؤمنين للمؤمنين، فالأولى تقوم على الخديعة والتخلّي، والأخرى تقوم على المحبَّة والإيثار، وجمع الصّورتين في قرنٍ واحد يزيد الحسن حسنًا، والقبيح قبحًا، فتبرز لدى المؤمنين – الَّذين يمتنُّ اللّهُ تعالى عليهم بإخراج بني النَّضير من مدينتهم – قيمةُ أخوتهم وعظمتُها، فيزداد شكرُهم لله تعالى عليها بحمده وتسبيحه وتنزيهه؛ كما فيه ذمُّ المنافقين واليهود ذمًّا شنيعًا، والإضعاف من شأنهم، ودعوة المسلمين إلى الاستخفاف بهم، ومجاهدتهم بغلظة وشدَّة[1]، وبيانُ عداوةِ الشَّيطان للإنسان، وحرصِه على أن يكون رفيقَه في نار جهنَّم، والتَّحذيرُ من وساوسه وتزيينه القاصد إلى إيصال الإنسان إلى درجة الكفر بالله تعالى.

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 307.

نوع الفاء ودلالتها:

الاستجابة للإغواء الشَّيطانيّ قبولٌ بالوعيد الرَّبّانيّ

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ حرف عطف يفيد تسبُّب ما بعدها عمّا قبلها، ما يعني: أنَّ خداع الشَّيطان للإنسان واستجابة الإنسان للشَّيطان سببٌ في دخولهما النّار معًا، وبهذا العقاب سوّى البيانُ الكريم بين الغارِّ والمغرور[1]؛ لينتبه الإنسانُ، ويحذرَ كيدَ الشَّيطان، والمعنى: فكان عقبى أمر الشَّيطان والإنسان الّذي أطاعه، فكفر بالله، أنَّهما خالدان في النّار، ماكثان فيها أبدًا[2].

بلاغة التّعبير بمفردة ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾:

عاقبتُهما عقوبتُهما، وعقوبتُهما عاقبتُهما

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير عن جزاء الشَّيطانِ والإنسان الّذي أطاعه في الآخرة بمفردة: ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾؛ للدَّلالةِ على النِّهاية الّتي لا مردَّ عنها؛ فيقع اليأس في القلوب، كما يرسخ الماء في عمق الأرض، وتقع الحسرة في النُّفوس، كما تثبت الجبال الرّواسي في باطن الأرض، فلا منفسَ ولا مهربَ، ولتناسب هذه المفردة ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ لفظَ (العقوبة)، فاشتراك اللَّفظين في الجذر يدلُّ على العلاقة الّتي بينهما، فكأنَّه قيل: عاقبتُهما عقوبتُهما، وعقوبتُهما عاقبتُهما، مع ما يحمل اللَّفظ من التَّحذير الشَّديد، لمَنْ يتَّبع وساوس المنافقين، الّذين هم جند الشَّيطان المخلصين، ودعاة إبليس المقرَّبين.

نكتة إضافة العاقبة إلى الضَّمير:

المنافقون مع اليهود كالشَّيطان مع الإنسان في استحقاق العذاب

آثر النَّظمُ إضافة لفظ العاقبة إلى ضمير الشَّيطان والإنسان في قوله تعالى: ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾؛ لبيان أنَّ العقوبةَ لا تختصُّ بواحد منهما دون الآخر، وأنَّها تشملهما معًا، فللشَّيطان عقوبته، وللإنسان الَّذي أطاعه، وكفر بالله عقوبته، ولو قيل: (فكان عاقبتُه أنَّه في النّار)؛ لفُهِمَ أنَّ ذلك العقاب خاصٌّ بالشّيطان؛ لأنَّه هو الَّذي خدع الإنسان،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 457.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 545.

ولأنّه المشبّه به، وأنّ الإنسان لا عقاب عليه؛ لأنَّه مخدوع، لكنَّ التَّعبير القرآنيَّ آثر تثنية الضَّمير إزالةً لهذا اللَّبس، وليكون التَّحذيرُ من الشَّيطان أقوى وأنجع، وللإشارة إلى أنَّ المنافقين واليهود سواءٌ في العقاب، وأنَّهما مثل الشَّيطان والإنسان في استحقاق التَّعذيب بالنّار؛ لاشتراكهما في الكفر بالله ومعاداة رسوله.

غرض تقديم خبر (كانَ) على اسمها:

جاء نظمُ الجملة مُقَدِّمًا خبر النّاسخ على اسمه، في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا﴾؛ لما يوجبه التَّقديمُ من روعة تنبيه الإنسان للتَّفتيش عن السَّبب، والتَّشويق إلى المؤخَّر[1].

دلالة التَّقديم على قصد التَّنبيه والتَّشويق ولفت الانتباه

بلاغة التَّوكيد ودلالته:

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ جملةٌ في محلِّ رفع اسم (كانَ) مؤخَّر، جاء مؤكَّدًا بأنَّ والجملة الاسميَّة؛ للدَّلالة على ثبوت الجزاء، وليتضافر التَّأكيدُ مع التَّقديم في روعة التَّنبيه، وشدَّةِ التَّحذير.

أثر التَّوكيد القرآني في شدَّة التَّحذير

بلاغة استعمال حرف الظَّرفية:

قوله تعالى: ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ جارٌّ ومجرور في محلِّ رفع خبر للحرف النّاسخ المؤكِّد للجملة، أوثر التَّعبير بحرف الظَّرفيَّة ﴿فِى﴾؛ للدَّلالة على انغماس الشَّيطان مع الكافر الَّذي أطاعه، وكفر في قعر النّار ووسطها، وأنَّها ستحيط بهما كما يحيط الظَّرف بالمظروف، أي: إنَّ عذابَهما سيكون شديدَ الإحراقِ، عظيمَ الإيلام؛ لاقتران وجودهما في النّار بالخلود.

النّار وعاء الشَّيطان ومهبط أهل الكفران

نوع (أل) ودلالتها في ﴿ٱلنَّارِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلنَّارِ﴾ لتعريف العهد، فالنّار هي الّتي يُهدِّد اللّهُ النّاسَ بها، ويتوعَّد مَن يُطيع الشَّيطانَ بالعذاب في قعرِها، وهي الّتي ذكرها القرآنُ في مواضع عديدة، وتحدَّث عن شدّة إحراقها.

الإحالة على العذاب المعهود

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 456.

موقع ﴿خَٰلِدَيۡنِ﴾ الإعرابيّ ودلالته البيانيّة:

ذكـرُ الخلـود لدفع كلّ وهمٍ قد يتطرّق لأحدٍ من السّامعين

قولُه: ﴿خَٰلِدَيۡنِ﴾ حال من الضّمير المنصوب في ﴿أَنَّهُمَا﴾، أوثر التّعبيرُ به مع جواز أن يُقال: (فكان عاقبتهما أنّهما في النّار)؛ للدّلالة على أنّهما لن يخرجا من النّار؛ وذلك لأنّهما ظَلَما ظُلْمًا لا فلاحَ معه[1]، ولا نهاية لعقابه، والمعنى: فكان عاقبة الشّيطان والفريقين اللّذَين أغراهما من اليهود والمنافقين أنّهم جميعًا إلى النّار، وفي النّار خالدين مُخَلَّدين فيها، أبد الآبدين ودهر الدّاهرين[2]، ففيه احتراسٌ من مظنَّة النَّجاة لمن يسمع كلام الشّيطان حين اعترافه بالألوهيَّة والرُّبوبيَّة، فيظنُّ أنَّ من أظهر المعرفة الصَّحيحة دخل في حيِّز المؤمنين، بعد المغفرة والتّوبة، فجاء ذكر الخلود للاحتراس من أوهام الأفهام.

نكتة التّعبير باسم الفاعل ﴿خَٰلِدَيۡنِ﴾ دون المفعول:

دخـول النّـار اختيارٌ حقيقيٌّ لأصحابِها، وهو ما يزيد حسرتهم وآلامهم

آثر النَّظم الكريم التّعبير باسم الفاعل: ﴿خَٰلِدَيۡنِ﴾ دون اسم المفعول (مُخَلَّدَيْنِ)؛ وذلك لأنَّ إصرارَ الشَّيطان على إغواء النّاس وخداعهم، والإلحاح عليهم في الكفر باللّه وتزيينه لهم، واستجابةَ الإنسان للشّيطان وانخداعَه بألاعيبه ووقوعَه في الكفر بإرادته، هو بمنزلة اختيارٍ فعليٍّ صادرٍ عنهما للخلود في النّار، والرِّضا بالعذاب فيها أبد الآبدين، ففيه بيان أنَّ الإنسان هو الّذي يختار آخرته، وهو الّذي يختار نار الجحيم، وليس الأمر جبريًّا قهريًّا، ولو قيل: (مُخَلَّدَيْنِ)؛ لفُهِم أنَّه لم يكن منهما اختيار للكفر، أو إصرار على الإثم، وأنَّهما لم يكونا سببًا في الخلود بأيِّ شكلٍ من الأشكال، وهو ما يزيد حسرتهم يوم الدّين، ويُقوّي آلامهم في النّيران يوم الجزاء العظيم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 457.

(2) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 10/ 3166.

فائدة تكرار حرف الظَّرفيّة ﴿فِيهَا﴾:

نفيُ أيِّ توهُّم أن يكون الخلودُ خارجَ النّار

كان من الجائز أن يُقال: (فكان عاقبتهما أنَّهما في النّار خالدين وذلك جزاء الظّالمين)، لكنَّ النَّظم القرآنيَّ أعاد ذكر حرف الظَّرفيَّة، فقال: ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾؛ لتأكيد خلودهما في النّار لا في مكانٍ آخر، ولدفع أيِّ احتمالٍ لأن يكون الخلود في مكانٍ آخر، أو يكون الخلود معنويًّا، فذكر حرف الظَّرفيَّة يدفع كلَّ احتمال، ويقوّي بقاء الجميع فيها أبد الآبدين.

نوع الواو ودلالتها:

الواو في جملة: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ للاستئناف، عبَّر بها للتَّنبيه إلى أنَّ الخلود في النّار ليس خاصًّا بالمذكورين في السّياق، بل هو عامٌّ في الظّالمين أجمعين زجرًا عن الظُّلم بجميع أنواعه[1].

تعيين مرجع اسم الإشارة:

ترجع الإشارة إلى الخلود في النّار

اسم الإشارة (ذَلِكَ) يرجع إلى ما يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ من الخلود في النّار، والبقاء فيها أبد الآبدين، والمعنى: ذلك الخلودُ في النّار جزاءُ الظّالمين جميعًا، وليس هؤلاء خاصَّة[2].

نكتة استعمال اسم الإشارة للبعيد:

جاء التّعبير باسم الإشارة (ذَلِكَ) للبعيد؛ تعظيمًا لشأن العقاب المُشار إليه، وتهويلًا لأمره، بإنزال ما فيه من بعد معنويٍّ منزلة البعد الحسيِّ، والمعنى: ذلك العذاب الأكبر[3].

بلاغة ذكر لفظ ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾:

خلودُ الظّالمين في النّار عقابٌ عادلٌ

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ الّذي يُستعمَل في

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 457.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 232، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 110.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 457.

سياق المنفعة والمضرَّة، وفي الخير والشرِّ[1]، دون رديفاتها كعقابٍ ونحوه؛ للدَّلالة على أنَّ الجزاء هو عدالةٌ تامَّة، لا عقابٌ ظالم، وأنَّ هذا الجزاء مناسبٌ لما ارتكبوه من معاصٍ وأوزارٍ، ويأتي على رأسها الكفرُ بالله تعالى، ومعاداةُ رسوله، والتَّغريرُ بالنّاس وخداعُهم، والاستجابةُ لوساوس الشَّيطان وتزيينه، وظلم النّاس وأكل حقوقهم، فكلُّ من يصدُّ عن دين الله تعالى ظالمٌ خالدٌ في النّار.

نكتة العدول عن التَّعبير بوصف الكفر إلى الظُّلم:

جمعَ لفظُ الظُّلمِ الظُّلمَ السُّلوكيَّ والاعتقاديَّ

كان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (وذلك جزاء الكافرين)، لا سيّما بعد أمر الشَّيطان للإنسان بالكفر، وكفر الإنسان استجابةً له، لكن النّظم الكريم عدل عن وصف الكفر إلى وصف الظّلم، فقال: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ تقبيحًا لفعل الإنسان والشّيطان، وتشنيعًا بهما، ببيان أنهم أتَوا أقبحَ أنواع الظُّلم وأشدَّها وأعظمَها، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]، ما يؤكِّد عدالةَ جزائهم بالعذاب في قعر النّار، وأنَّه لا ظلم فيه ولا زيادة، فجمع لفظُ الظُّلمِ الظُّلمَ السُّلوكيَّ والاعتقاديَّ، فيدخل الكفرُ كذلك في الجزاءِ، وأيضًا فإنَّ في اختيار لفظ الظّلم تلويحًا بشأنِ إغواء النّاس عن دين الله تعالى، بأنَّه ظلم عظيم يستحقُّ صاحبه الجزاء العادل.

نوع (أل) ودلالتها في لفظ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

الخلود في النّار جزاء جميع الظّالمين المعتدين على الاعتقاد الحقِّ

(أل) في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لتعريف الجنس، الدّالِّ على عموم الوصف وشمولِه كلَّ مَن تجاوز، واعتدى بلا استثناء، ويدخل فيه الشّيطانُ والإنسانُ الّذي أطاعه في أمره بالكفر، والمنافقون واليهود، وكلُّ مَنْ نهج نهجهم، وسار على دربهم، والمعنى: والعاقبةُ السوءَى جزاءُ جميع الظّالمين المعتدين على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ، وعلى المسلمين،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جزى)، والرّاغب، مفردات القرآن: (جزا).

فكما كانت عاقبةُ الكافر وشيطانه عاقبةَ سوء، كذلك تكون عاقبةُ المُمَثَّلين بهما؛ لأنّهما اشتركا في ظلم أهل الحقِّ والهدى[1].

بلاغة التّذييل في جملة الفاصلة:

تأكيدُ استحقاقِ الظّالمين الخلود في النّار

جملةُ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تذييلٌ يؤكّد استحقاق يهود بني النّضير ويهود بني قينقاع، والمنافقين وكفار مكّة، وكذلك الشّياطين ومَن يستجيبون لهم من النّاس العذابَ بالنّار؛ لأنَّهم جميعًا ظالمون فيما فعلوا، معتدون فيما أتَوا، وأصابوا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخوف والخشية:

الخوفُ ذعرٌ[2] يصيب الإنسان بسبب توقُّع المكروه[3]، ويختصُّ الخوفُ بأنّه من شَيءٍ مخوفٍ منه إجمالًا، بخلاف الخشية فهي لأمرٍ مخشيٍّ منه عن علم تفصيليٍّ، وأيضًا فإنَّ الخاشي يستحضرُ المخشيَّ منه، فالخشيةُ أعلى رتبةً من الخوف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]، وقد اجتمع لفظا الخشية والخوف في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد: 21]، فالخشية هنا من الله تعالى الّتي هي خشيةُ المحسنين، وسببُ إيراد الخَوْف من سوء الحساب هو المقابلة، فلا تستوي الخشية من الله تعالى مع الخوف من سوء الحساب، فيقال: ويخشَون سوءَ الحساب؛ لأنَّ ذلك يعني ضمنًا التَّسويةَ بين الله تعالى وسوءِ حسابه، وهذا غيرُ مُتصوَّر.

الخوفُ ذعرٌ إجماليٌّ، والخشية خوفٌ مقترنٌ بعلم تفصيليّ

واجتمع اللّفظان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 110.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، مادة: (خوف).
(3) الرّاغب، المفردات، مادة: (خوف).

﴿٧٧﴾ [طه: 77]، فخوفُ موسى ﷺ كان من دَرَكِ فرعونَ وجنودِه، والخشيةُ ما استحضرَه موسى ﷺ من الغرَق في البحر، وهي تكشفُ عمّا يجول في نفسه ﷺ، وهذا يبيِّنُ لنا أنَّ الخوفَ كان محدَّدًا من دَرَك فرعون، بينما الخشيةُ فكانت عامةً؛ لذلك حُذِفَ مفعولُها، كأنَّه قال: لا تخافُ دَرَكًا، ولا تَخشَى غَرَقًا، ولمّا كان قصدُ الشّيطان تعليلَ براءته من كفر الإنسان؛ ناسب التّعبير بفعل الخوف دون الخشية؛ لإبراز خوفه من غضب الله تعالى وصولته وعدم قدرته على تحمُّل آثارهما.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"